

قامت فيها الدول ذات املدينة الواحدة الحرة، وهو نظامٌ شهد ختامه ع^٤ يدَي فليب وف^٥ة كانت فيها السيادة ملقدونيا، وقد أتى الرومان ع^٥ آخر آثارها الباقية هذه الف^٥ات الثلاث تتميز بالحرية وعدم التزام النظام، والف^٥ة الثانية من هذه الف^٥ات الثلاث هي التي تم في ذلك الع^٥ من بحوث في العلم والرياضة هو أفضل ما أنتجه اليونان في هذا الباب وأما في الفلسفة فقد شهدت تلك الف^٥ة نشأة املدرستني الأبيقورية والرواقيين فقد كانت ف^٥ة لم تزل له ونشأة الشك في صورة مذهب فلسفي واضح املعالم؛ وإن تكن أقل أهمية من الف^٥ة التي شهدت أفلاطون وأرسطو؛ ما بعد القرن الثالث قبل امليلاد، في الفلسفة اليونانية جديد حقا الحديثة في القرن الثالث بعد امليلاد، لانتصار املسيحية فف وفارس وسمرقند وباك^٦يا والبنجاب، لعة ما كان وهي أعظم إم^٥اطورية شهدتها العالم حتى ذلك الحني، وشاع بني اليونان الط كما شاعت فيهم كذلك الثنائية الزرادشتية وديانا الهند) ولو أن هذه كانت أقل شيوعاً بينهم) حني كانت البوذية عندئذ في طريقها إ^٤ أمنها إ^٤ أن تكون فعل خري إيجابياً، ويصبح للأخلاق — التي أصبحت فردية — املكانة الأ^٥، ولم تعد الفلسفة شعلة من نار يهتدي الفلسفة أقرب شبهاً بعربة الإسعاف، 11. «نا لتعليمه، الذي اتخذ «كوس» مكان» لا بد أن يكون معنى ذلك أنه ترجم إ^٥ اليونانية «عني بل»، ظمت سبعيني لوحة وُجدت في مكتبة أشور بانيبال (٦٨٦-٦٢٦ ق.م). لكنها كانت قد ص وممل ولقد آمن كان التنجيم يزعم إمكان التنبؤ باملستقبل، ولا وهو اعتقاد جاء معاً شك أن معظم الناس آمنوا بالقدر والحظ معاً، قد لا تتعارض مع إضعاف القدرة الفكرية، فإن العصور التي يسودها القلق أمداً طويلاً أسمى درجات القداسة في قلة قليلة من الناس، إلا أنها تتنا^٥ مع فضائل الحياة اليومي كما يعيشها املواطنون ذوو املكانة املحد^٥مة في املجتمع؛ فقد يظهر أن لا فائدة من الادخار إذا كان من املحتمل أن يتبدد كل ادخارك غداً، وأن لا فائدة من الأمانة إذا كان من تؤدي وأن لا فائدة من التمسك القوي بالرأي إذ وأن لا فائدة لم يكن لأي رأ من الحجة تاملراوغة املماكرة؛ فالرجل الذي لا يرى مصدرراً للفضيلة سوى الحكمة الدينوية الخالص^٥نا مغموراً يساير فيه تيار الحوادث مُحص لم يكونوا بطبعهم أوغاداً ممتازاً، ولو استثنيت من أهل القرن الثالث قبل امليلاد نفرًا قليلاً لقيه لذلك الع^٥، تلخص النزعة الـنفوسهم محل الأمل، وكانت الغاية من الحياة أقرب إ^٥ أن تكون فراراً من الحظ السيئ» وعندئذ^٥اجع امليتافيزيقا إ^٥ الورا، ويصبح للأخلاق — التي أصبحت فردية — املكانة الأ^٥، بل أضحت تسري في مؤخرة املعركة القائمة من أجل البقاء وتلتقط الـع^٥ من الضعفاء والجرح. أهلية عرضت نفسها للغزو الل^٥يح لكنها إذا ما انحازت إ^٥ الجانب الخطأ في حرب ل تلك املدن معاملتعام^٥ من الحكومة الذاتية، إلا أنها لموع^٥ الرغم من أن املدن الجديدة كانت تتمتع بقسط ولم يكن أبنائها متجانسني في أصولهم، بل فهم يشبهون أولئك الذيب ع^٥ ذلك أنه أو كالرؤاد الذين هاجروا إ^٥ ولاية إنجلترا الجديدة، وترجع مدينة واحدة من مدن الإسكندر أن تكون وحدة سياسية قوية، لكنه كان ضعفا ع^٥ وجه تدل ع^٥ غري ذلك؛ فقد كان لليهود التغليب، لا ع^٥ وجه التعميم؛ لأنك قد تجد حالات والفرس والبيوذيني ديانان لا شك إطلاقاً شاء سوء الحظ أن يتأثر خيال اليونان بأبلغ الأثر بالبابليني والكلدانييني؛ هؤلاء هو تاريخ أسلافهم الذي هو من خلق أوهامهم، فقد عادوا بمدوناتهم الكهنوتية^٥ أخرى من السننيآلاف السنني، وزعموا أنهم يستطيعون أن يرجعوا بأصولهم إ^٥ آلا لكن هذه الأشياء بل أن استطاع اليونان ذلك بزمن ونه من ثقافة تلك البلاد، ويُشيب^٥ وكان من الطبيعي للملوك أن يؤمنوا بأ^٥ 10. «النجوم كانت تلحظ أفعالهم، لكن ع^٥ان ما انتقلت هذه العدوى إ^٥ سائر الناس الخطر الدايم لقائد جيش أن يحاول ت^٥يح جيشه، ثم لا بد أن كان ذلك أحد الأسباب التي جعلت الحروب في اتصال يكاد لا ينقطع وظلت الروح الوطنية القديمة قائمة في املدن اليونانية القديمة كما كانت قبل ع^٥ سها الإسكندر — ولا نستثني الإسكندرية منها وجه التقريب. أما املدن الجديدة التي أس لعد كانت املدينة الجديدة في الأزمان السابقة لعه واحدة قديمة، إذ تربطها به — من تأثري ومثل هذه العاطفة يدوم أبداً طويلاً مهددة بالخضوع للملك السلبيوكو^٥ أنطاكيوس الثالث، تطلب منها الحماية، بل عن أنها مدينة مُقرية إ^٥ قلوب الرومان؛ لفوقيا، فضلاً فلما استمع أهل مرسيليا إ^٥ خطبة ألقاها رسول لامبساكوس، لمدتهم في آسيا الصغرى، وبطبيعة الحال فر في شئون آسيا الصغرى، 9. في الأمر، إ^٥ أن أصبحت تلك الحرية غري متفقة مع مصالح الروما^٥ من حقوقها) كلم وأن تزول عنه استطاعت إ^٥ ذلك سبيلا الجزية، وأن تتحرر من الحامية اململكية. وكانت هذه املدن جديرة بأن منها ثغور هامة كانت غنية، وكان في مقدورها أن تمد الجيش باملرتزقة، وكان لكثري عجزه التام حني واجهته املمشكلات السياسية الجديدة؛ إذ كان الرومان بغري شك ن بلادة ذهنية وقسوة وحشية بالقياس إ^٥ اليونان، فما ذاك إلا لأن كل فرد من أشد املقت؛ فقد كانت ممقوتة مما تلاها من خضوع لروم وكان يشيع بني الناس سخط والأحرار. وفي الوقت — يجد من وقته الفراغ الذي يعقد فيه املحالفات التي قصد بها أن يظل الفقراء في وُضعت^٥وط يلزم بمقتضاها أن يتخذ مجلس تلك العصابة مع ممثل الإسكندر الإجراءات الل^٥ورية التي تمنع في كل بلاد العصابة وقوع مصادرة للأموال وكانت املعابد في العالم الهلينستي بمناسبة أصحاب املصارف؛ لأنها هي التي كانت تمتلك رصيد الذهب،

وتضبط حركة القروض، وحدث في الشطر الأول من القرن وكانت نسب الثالث أن أقرض معبد أبولو في ديلوس قروض أن يظفروا لأنفسهم بأعمال في الجيش كجند مرتزقة، ذلك أن كانوا بعد في شبابه نعم، إن حياة الجندي من املرتزقة قد كانت بغري شك مليئ فقد يقع لهؤلاء الجنود أن ينهبوا مدين غنية، وقد تسنح لهم فرصة عصيان يعود عليهم بربح؛ ^{٤٤}أقية باتت إقليمية لا أهمية لها؛ وكانت املنازعات الخطرية في سبيل القوة قائمة بني الجنود املقدونيني أنفسهم. ولم تكن بل كان كل اهتمامها توزيع البلاد بني املغامرين املتنافسي؛ فإذا ما عرض لهؤلاء الجنود الذين لم يصيبوا من العلم إلا مقداراً قليلاً إدارة الحكم أو ^{٤٥}تفاوتهم في هذا املقدار الضئيل — إذا ما عرضت لهؤلاء أمور تمس والإداريون، والأطباء، واحدة كان العلم ^{٤٦}ع ^{٤٧}أ يتيح ملن عنده مال ولم يكن راغباً في قوة الجاه، كذلك كبري من حياة ^{٤٨}ف، ع ^{٤٩}ط أن يكونوا بارعني في الرياء، فقد تحدث داخل الق ^{٥٠}امللكية الغاشمة، غري أن الأمن لم يعرف ^{٥١}ذلك العلم ^{٥٢}سبباً امللكي ثورة تطيح بالأمر الذي يعيش في كنفه ذلك الحكيم املرائي، ع ^{٥٣}املسكن الأنيق للرجل الغني فينزلون به الخراب، ^{٥٤}لبت سلباً في تيار الحروب املتصل؛ إذ لم يكن في مجرى الأمور الإنسانية ما يدل ع ^{٥٥}السري بمقت ^{٥٦}واعتم — كم ففي حدود نفس العقل مجالا يستطيع أن يجعل من الجنة جحيماً، وجدت أنه لم يعد هناك حافز فيعد الف ^{٥٧}اللامعة التي سطعت فيها غزوات الإسكندر، أخذ العالم الهلينستي يغوص في حالة من الف ^{٥٨}الافتقار ^{٥٩}إ حاك له من القوة ما يمكنه من أن يصون لذلك العام سياسة مستقرة البناء، أو ^{٦٠}مبدأ ل من قوة التأثير ما يخلق به تماسكاً اجتماعياً بني الناس؛ 296 تعرضت لها الأجزاء الأوروبية والآسيوية من ملك املقدونيني، وكانت الإسكندرية في موقف غاية في الامتياز بالنسبة للتجارة، وكان البطالسة يرعون الحركة العلمية، واستقدموا لعاصمتهم عدداً كبيراً من خرية رجال العلم ^{٦١}ع، حتى لقد أصبحت الرياضة — ولبت كذلك حتى سقوط روما — علماً إسكندرياً ^{٦٢}إ حد كبري. املعروفة لدى اليونان محتفظة باستقلالها، وكان «إراتوستينز» هو الأمني الأول ملكتبة الإسكندرية املشهوره. وهكذا استطاع علماء الرياضة والطبيعة املتصلون بالإسكندرية قليلا لكنهم لم يكونوا — كما كان أسلافهم — رجالا بل كانوا متخصصني بمعنى التخصص منهم، وجعلوا ^{٦٣}ين ^{٦٤}ون فلسفات في العلم ^{٦٥}الحديث؛ رياضيني، وكان التخصص من سمات العلم ^{٦٦}في كل فروع املعرفة، وحده، القرنين الخامس والرابع؛ ذلك أن الرجل في ذلك العهد كان يفرض فيه أنه قادر ع ^{٦٧}ع أن؛ فع ^{٦٨}الرغم من أن سقراط كان يكره السياسة، ا في العلم وكان في شبابه جندياً، ا بعد وحيثما وجد بروتاجوراس فرا وكذلك كانت لأفلاطون محاولات الفكر، بالظهور بمظهر السيد من سادة الريف، كان ولا مشتغلا مشتغلا يملأ فراغه باستغاله قائداً من قادة الجيش، يظفروا لأنفسهم بحكومة املدن، لكن هذا كله تغر 295 ستي ... وصل ^{٦٩}إ حيث يقيم اململوك الأربعة، وهم: بطليموس وأنتيجانوس وماجاس والإسكند ^{٧٠}» (يعني يونان بنجاب)، وكان الأثر الهليني أعمق بكثير في بابل منه في الهند؛ فقد أسلفنا القول بأن العالم في أخذه بالنظام الكوبرنيقي في الفلك، هو سليوكوس من سليوكيا ع ^{٧١}نهر دجلة، م. وينبئنا «تاستوس» أن سليوكيا في القرن الأول امليلادي، لم تكن قد نكصت ع ^{٧٢}٤ظم الاجتماعية التي وضعها سليوكوس وقوامه ثلاثمائة مواطن يُختارون لثروتهم أو لحكمتهم، ولبت كذلك حتى الفتح الإسلامي في مدنها بالأثر كاملا وتأثرت سوريا) ما عدا أرض امليعاد اليهودية) تأثراً شاملا من حيث اللغة والأدب، أما سكان الريف الذين كانوا أكثر محافظة ع ^{٧٣}القديم وكان للمدن اليونانية ع ^{٧٤}ساحل 6. فقد أبقوا ع ^{٧٥}العقائد الدينية واللغات التي تعودوه آسيا الصغرى تأثرياً دامَ قرون غاية الإمتاع، بالفتح املقدوني، بالإ ^{٧٦}اطورية املقدونية. حني أتناول نشأة املسيحي ^{٧٧}ثل ما صادفه لدى اليهود آخر م فلم يصادف التأثير اليوناني في أي مكان وجدنا أملع نجاح في القرن فلم تتعرض م ^{٧٨}للحروب بمثل ميه فلما مات الإسكندر، لكن أحد اب وكان لكل من هذين الولدين مؤيدون، لك وأخري ^{٧٩}ه ^{٨٠}ات ثلاثة رجال من ق تقسمت إ ^{٨١}اطورية وظفرت الثالثة بالشر الآسيوي، أما سليوكوس الذ فقد كان في شغل من حملاته الحربية بحيث لم يجعل لنفسه عاصمة ثابتة، معتمدين فيها أول الأمر ع ^{٨٢}ما بقي لهم يوناني بما هو بربري، وأقاموا حكومات بمرتزقة من اليونان، يدوا قوة أما آسيا فقد شهدت قرنيني مضطربني بالحروب الناشبة وحدث إبَّان هذين القرنين أ غزا البارثيون ولا يزال بني أيدني بوزي، ولبعضهما ترجمم Parthians فارس، وازدادت عزلة اليونان في بكتريي Bactrian Greeks محاورتان دارتا بينه وبني حكيم ويظن «الدكتور تاون» أن أو ^{٨٣}هاتني املحاورتي مستمدة من أصل يوناني، الثانية التي تنتهي باعتزال مناندر عرشه واعتناقه البوذية، أصل يوناني «كانت الديانة البوذية إذ ذاك في عنفوانها تعمل ع ^{٨٤}هداية الناس، وقد سجّل «أشوك لا يزال بني أيدينا، جميعاً: «وهذا — في رأي جلالتة — أبلغ ما بلغه من ن ^{٨٥} — الن ^{٨٦}ع طريق القانون وهذا القانون هو ما أقامه جلالتة في أجزاء ملكه وفي املمالك املجاورة أيضا التي شملتها املعاهدة، الشمالية — شمال خط «ماسون-دكسن» — فلم يكن مثل هذا العمل البديني ميسور عند غري البيض، فاضطر هؤلاء أن يشتغلوا بالزراعة؛ الأبيض من أمريكا الشمالية، في حني أن قبضته ع ^{٨٧}ق الأ ^{٨٨}ق قد أصابها بالفعل — تاماً في غري ع ^{٨٩}ع، ومع ذلك فتقافة الرجل الأبيض كثري من الضعف، أن نتصور

موقف اليونان في الأجزاء الإقليمية من إمبراطورية الإسكندر كان أثر الإسكندر ع^١ خيال الناس في آسيا قوياً وطويل الأمد، طويلة، وبعد ما أتيح للإسكندر املقدوني بن فيليب، أن يطمس دارا ملك الفرس وامليديني، وتغلغل بسريه«Chettiim وهي فاتحة تصف حتى وصل إ^٢ م جاءه وحكم به الأقطار والأمم وامللوك املجد، وجمع حوله جيشه وبعد هذا كله أصابه املرض، وأدرك أنه دان من املوت، وقس من حاشيته من كان ع^٣ يف 1. حياً أسطورياً، ولا يزال بعض رؤساء وظل الإسكندر قائماً في الديانة الإسلامية بط الذين لا شك في حقيقة وجودهم التاريخي بطلا املواتاة لتحريك الخيال الأسطوري الشعري عند الناس فاحشاً عن فكرتهم العامة في ذلك، حني قال إن أجناس الشمال مليئة شك في أن أرسطو قد ع^٤ بشعلة الحياة، وأجناس الجنوب متح^٥ة، واليونان وحدهم الذين يجمعون الطرفني؛ فشعلة الحياة تملؤهم، وأفلاطون وأرسطو كلاهما قد لكن ذلك عندهما جائز بالنسبة للشعوب^٦ أ — أن يحطم هذا الشعور البرية. وحاول الإسكندر — الذي لم يكن يونانياً خالص عند اليونان بالسيادة، وأرغم زعماء املقدونيين الذين معه أن يتزوجوا نساءً من أف^٧ فارس، ولا بُدُّ بالبداية أن يكو املستعمرون من الذكور في املدن اليونانية الكثيرة التي أنشأها أكثر من املستعمرات الإناث؛ الإقليم الذي يحدث لهم أن يكونوا فيه. وأنه لم يعد الولاء القديم للدولة ذات الناس فكرة ولا الولاء (بدرجة أقل) للجنس اليوناني، هذه النظرة الدولية في الفلسفة عند الرواقيني، إذ تبدأ من الإسكندر، وكان من نتائجها تفاعل بني اليوناني والبري؛ فتعلم الأبرة وهكذا أصبحت الحضار نعم كان كثرياً من اليونان يشتغلون بالزراعة طبعاً، فمنذ مدرسة ملطية وصاعداً، التي كثرياً ما كان يحيط بها شعوب بربرية، ممن يتصلون باملدن الا يكن اليونان هم أول من بدءوا في هذا البر^٨ من الحضارة، بل بدأه الفينيقيون، فاعتمدت إنها لم تكن تعتمد — كما تفعل العواصم الك^٩ى اليوم — ع^{١٠} سكان كثريين يعيشون في الريف، ويكونون من نفس السلالة، الحقوق السياسية، التي لسكان املدن، ولعل أقرب مثل نسوقه من الدنيا الحديثة لنصور القرن التاسع ع^{١١}؛ 291 تحتل مكان السيادة بني تلك الديانات، معلوم من الحكومة الذاتية، حينما تغلغل في فتوحه لا يُستثنى من ذلك حتى جبال أفغانستان وضاف جاكسارتيز وفروع السند؛ بب^{١٢} بالروح الهلينية، ع^{١٣} الرغم من أن ا من أكثرية مقدونية، — خضعوا له عن غري إرادة منهم، ومع ذلك فقد أخذ — كلما اتسعت رقعة فتوح وحد بني اليوناني والبر^{١٤}ا فشيئاً حدّاً كبيراً من الضخامة لم تكن لتستطيع أن تظل مسيطرة ع^{١٥} مثل هذه الإمبراطورية دائمة، بل كان لا بُدُّ لها في نهاية الأمر أن تعتمد ع^{١٦} مرضاة لم يكن البر^{١٧} قد ألف أي ع^{١٨} ب من البر^{١٩} الحكأ ما هل آمن الإسكندر فعلا سياسية، فذلك موضوع ن^{٢٠}كه لعلماء النفس أن يقولوا فيه كلمتهم، ما دامت قاطع، بما أبدت له م^{٢١} من مصانعة حني أطلقت عليه خليفة الفراعنة، أما ضباطه املقدونيون — أو «الرفقاء» كم كانوا يُسمون — فقد وقفوا إزاءه موقف الأ^{٢٢}اف في بلاد الغرب من ملكهم الدستوري؛ حتى لو كان في فأبوا أن يلقوا بأنفسهم أرضه وكان حينئذ قد بلغ السند، م فتح الكنج. السري بغيّة فكل ما يفعله في هذا السبيل هو أن يقول إن «أمون» أو «بل» هو نفسا هلل. «زيوس»، وأن يعلن نفسه ابن — «بأن أمه» أوليمبياس بل ربما كان ع^{٢٣} علم بمؤامرة اغتياله؛